

تحرير العقل المسلم

2016-07-11 محمد محفوظ

حين التعمق في مفردات ومفاهيم المنظومة الفكرية الإسلامية، نكتشف أن هذه المنظومة تعمل على تحرير العقل المسلم من كل المعيقات المادية والمعنوية التي تحول دون استخدام العقل أو التفكير بدون قيود ومسبقات ذهنية أو تاريخية تعمل على تقييد العقل أو منعه من الانطلاق.

بل إن ذات المفاهيم الفكرية الإسلامية، تشكل رافعة ضد كل القيود والكوابح التي تمنع تحرير العقل المسلم.

وفي تقديرنا أن تحرير العقل المسلم من كل القيود والكوابح، هو من المفاهيم الأساسية لنهضة الأمة. لأن الخطوة الأولى في مشروع النهضة الحقيقية والفعالية في أي مجتمع، هو تحرير عقولهم من كل المعيقات والمبررات التي تحول دون استخدام العقل بشكل فعال، وانطلاقه في مشروع النهضة والتحرر من كل ما يعيق فعل النهضة وممارستها.

وحين التأمل في آيات الذكر الحكيم، نجد هناك العديد من الآيات القرآنية التي تؤسس لمرحلة الانطلاق العقلي والثقافي بعيداً عن قيود الآباء وكوابح المسبقات الذهنية والعملية السابقة. فالتجارب والتاريخ بكل تطوراتها هو لأخذ العبرة والاستفادة من دروسه وكيفية التحرر من كل المعيقات. فلا انحباس في التاريخ وقضاياه، ولا هروب من الراهن وتحولاته، بل ممارسة شهودية مستندة إلى عقل وفكر متحرر من كل القيود والمعيقات.

الموقف من التاريخ وأحداثه:

حينما يذكر النص القرآني الكثير من أحداث التاريخ وتطوراتها، لا يستهدف النص القرآني الانحباس في أحداث التاريخ وقضاياه المختلفة، وإنما الاستفادة من دروسه وعبره، حتى لا يكرر الإنسان الفرد والجماعة أخطاء من سبقه، أو الخيارات الخاسرة التي التزم بها السابقون.

فالتاريخ مدرسة متكاملة للاستفادة منه على مختلف المستويات، وليس بديلاً عن الراهن بكل تطوراتهِ وتحولاتهِ.

فحينما نعود إلى التاريخ، نعود إليه، لا بمعنى الهروب من الراهن، وإنما لاستنطاقه، وأخذ العبر والدروس من أحداثهِ المختلفة.

يقول تبارك وتعالى (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) [الروم، 9]، وقال تعالى (وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون) [الروم، 33].

ف " يعطي القرآن الحكيم المؤمنين البصيرة الإلهية في التاريخ لينظروا من خلالها إلى الغابرين ويعتبروا بمصيرهم. ذلك بأن الإنسان تشده حوادث التاريخ بقدر ما تستثيره ظواهر الحياة الراهنة. وهو مفطور على النظر إلى الماضي. إذاً فليُنظر إليه من خلال بصيرة إلهية ليزداد إيماناً بربه وتسليماً لسنته وشرائعهِ كلما نظر في أحوال الغابرين".

فكل أحداث التاريخ تعلمنا، أن الخضوع لمتواليات بعض اللحظات، تفضي إلى نتائج كارثية. فحينما يخضع المجتمع إلى سيطرة المترفين، فإن مؤدى هذه السيطرة، هو اضمحلال الطبقة الوسطى وتلاشيها التدريجي، وهذا بدوره يفضي إلى ضعف التماسك الاجتماعي، الذي يؤدي بدوره إنهاء التجربة الاجتماعية الخاضعة لسيطرة وسياسة المترفين.

يقول تعالى (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناهم من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) [القصص، 76]. وتكون نتيجة هذه السيطرة هي: (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) [القصص، 81].

فالضعف البشري بكل دوائره ومستوياتهِ، لا يمكن تجاوزه إلا بتنمية روح الإيمان، فالإيمان بكل

متوآلآة النفسفة والسلوكفة؁ هو القادر وحده على مواءة الضعف البشري المركز في نفس وعقل الإنسان..

فالروح الإفمآفة هف الفف فجعل الإنسان ففقم الصعوبآ وفواء المعضلات. ولولا هذه الروح لبقف الإنسان خاضعاً لمقتضفآ الخوف من المجهول ومن المستقبل القرفب والبعفد.

وحنفما فزفل الإنسان حبب الأهواء والشهوات والظنون؁ ففجلى قدرة الإنسان فف عمران الأرض والحفآة.

فالتارفخ بالنسبة إلى الإنسان المسلم الذف فمفلك الوعى والبصرفة؁ لفس نفهآة الحفآة؁ ولفس السقف الذف فجب أن فقف عنده كل الإرادات والإبداعات الإنسانية. بل هف تجربة إنسآفة ففها كل الصور والاحتمالات؁ ومهمفنا أأذ العبر والدروس من هذه الفجارب الإنسانية سواء كنا أفراداً أو مجفمعات.

وحنفما فعلن الإنسان أنه فنفمف إلى مدرسة الإسلام؁ وأنه فمفلك كل الاستعداد للآفزام بكل مقتضفآ هذا الآفماء والولاء؁ فهو فف حقفقة الأمر ففرد من نفسه وعقله نزة الوصولفة ومفارقة الباطن مع الظاهر. لذلك ففممكن من القول: أنه لا نهضة حقفقفة فف أف واقع إنسآف؁ إلا بصفوة فآأذ على عآفها الآفزام بكل قفم النهضة وثوابفها؁ وفرفض مهمما كانت الضغوطات أو الففهدفدات أو الإغراءات بفع الفزامها أو الففصل منه.

إن صدق الآفماء والولاء؁ ووجود كفة بشرفة ملتزمة بذلك قلباً وقالباً؁ ظاهراً وباطناً؁ هو من أهم الحقائق والمفاهفم الأساسية لإحداث نهضة حقفقفة فف واقعنا الآفمآعف والإنسآف.

الفحرر من الأهواء والشهوات وعدم الخضوع إلى مفطالبفها.. لعلنا لا نضفف شئناً إلى علم القارئ حفن القول: إن الفحرر المعنوف من الحاجات والشهوات؁ هو سفبل نفل الحرفة فف دوائر الحفآة المفخلفة. ومن فعفش عبداً لشهواته وأهوائه وحاجآه البفولوجفة أو الآفمآعفة؁ لن ففممكن من نفل الحرفة فف السفاسة والمجفممع. لأنه ببساطة شدفدة من ففضع لأهوائه وشهواته وحاجآه؁ لن ففممكن

التحرر من كل هذه القيود، وبالتالي فإن هذا الإنسان سيعبر في كل مقولاته عن خضوعه التام لكل تلك الحاجات والشهوات.

من هنا فإن تحرير العقل المسلم من كل القيود والمعيقات، يقتضي تحرير العقل المسلم من أهوائه وشهواته وحاجاته التي تضغط عليه جوهرياً وتجعله على مستوى المواقف والممارسة خاضعاً لكل متواليات عدم التحرر المعنوي.

وعليه فإن تحرير العقل المسلم المعنوي، الذي يكبح الإنسان ويقيده بفعل علاقته غير السليمة مع غرائزه وشهواته وحاجاته.

كذلك يقتضي التحرر من كل القيود الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تحول الإنسان إلى عبد أعمى لكل هذه المفردات.

وإن الطريق للتحرر من كل هذه القيود، هو التحرر المعنوي، وعدم الخضوع القسري لكل الأهواء والشهوات التي تحول الإنسان إلى كائن شهواني، غرائزي.

لذلك فإن من يتحرر من شهواته وأهوائه، قادر على التحرر من الظلم الاجتماعي والاستبداد وأشكال الحيف الاقتصادي. ومن لا يستطيع التحرر من شهواته وحاجاته فإنه تبعاً لذلك سيكون غير قادر على التحرر من كل القيود الخارجية. من هنا ينبغي أن نربي أنفسنا على المستويين الروحي والعقلي، أن لا تكون هناك حاجة تضغط علينا سلباً لتلبيتها.

فلا حاجة تأسرننا، ولا شهوة تخضعنا، ولا قوى غاشمة مهما كانت غطرستها قادرة على إخضاعنا والسير الأعمى خلفها.. ولو تأملنا في آيات الذكر الحكيم نجدها باستمرار توجهننا إلى ضرورة التحرر من الأهواء والشهوات.

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية